المصدر :العقيدة الاسلامية – موضوعات مختلفة – الدرس (27) : التوحيد (أمثلة عملية وقصص واقعية).
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2007-06-10

بسم الله الرحمن الرحيم

قصص في التوحيد

أيها الإخوة الكرام، من أخطر موضوعات الدين ألا وهو التوحيد، فالدين هو التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

أما أن تؤمن أن الله خالق السماوات والأرض فقد قال هذه الكلمةَ المشركون، قال تعالى:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾

فأن تؤمن أن الله عز وجل خلق الأكوان، هذا يؤمن به المشركون، ولكن أن ألاّ ترى مع الله أحدا، أن ترى أن يد الله تعمل وحدها، أن ترى أن الله وحده هو الرافع الخافض، والمعز المذل، والمعطي المانع المقرّب، الله وحده يفعل ما يشاء، ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن فهذا هو الإيمان. قال تعالى:

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

أيها الأخوة، التوحيد كأنك دخلت إلى دائرة فيها أربعة طوابق، في كل طابق مئة موظف، وعلى رأسهم جميعاً مدير عام، قال لك أحدُهم: قضيتك لا يستطع واحد من كل هؤلاء الموظفين أن يمنحك الموافقة إلا المدير العام، فهل يعقل أن تبذل ماء وجهك لغير المدير العام؟ تكون أحمق. الآن حينما تؤمن أن الأمر بيد الله، أمرك الخاص بيد الله، صحتك بيد الله، وزوجتك بيد الله، وأولادك بيد الله، وجيرانك وأصدقائك وأقربائك، ومن فوقك في الدائرة، ومن هو أقوى منك، ومن هو أضعف منك، ومن كان على شاكلتك بيد الله، حينما تؤمن أن الأمر كله بيد الله لا تتجه إلا إلى الله، من أين تأتي الشجاعة؟ من التوحيد، من أين تأتي العزة؟ من التوحيد، من أين يأتي البُعدُ عن النفاق؟ من التوحيد، **وما مِن إنسان يسقط في النفاق أو في الكذب أو في الدجل إلا بسبب ضعف توحيده،** لأنه رأى أن هذا الإنسان بإمكانه أن يعطيه، أو أن يمنعه، لذلك حينما تؤمن أن رزقك بيد الله، أن حياتك بيد الله، وأن الله قطع أيدي الناس عن الرزق وعن الحياة، وأن كلمة الحق لا تقطع رزقاً، ولا تقرب أجلاً، كنت شجاعاً، لأنك كنت موحداً، التوحيد من لوازمه العز، التوحيد من لوازمه الجرأة.

أيها الإخوة الكرام، المسلمون اليوم في أمسّ الحاجة إلى التوحيد، في أمسّ الحاجة إلى أن يؤمنوا أن الأمر بيد الله، لا بيد أعدائهم، وأن الله لا يتخلى عنهم، وأن مصيبة المصائب أن يشعروا باليأس والإحباط، ومصيبة المصائب ألا يثقوا بوعد الله، قال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي﴾

ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

الآن الآية الكريمة تلي تقصم الظهر، قال تعالى:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

لذلك قسم العلماء الشرك إلى شرك جلي، وشرك خفي، الشرك الجلي أن تقول: بوذا إله، وفي شرق آسيا مئات الأديان كلها أديان وثنية تعبد الحجر أو تعبد الشمس والقمر أو تعبد الجرذان أو تعبد... الحديث طويل، لذلك الشرك الجلي لا يوجد في العالم الإسلامي، والحمد لله، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَقُولُ: يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا، وَلَا وَثَنًا، وَلَكِنْ أَعْمَالًا لِغَيْرِ اللَّهِ، وَشَهْوَةً خَفِيَّةً))

لذلك للإمام علي رضي الله عنه قول رائع قال: << الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء >>.

وأدناه أن تحب على جور، وأن تغضب على عدل، واحد تنتفع منه فتغاضيت عن معاصيه، ولم تنصحه خوفاً من أن تنقطع عطاياه إليك، هذا شرك خفي، أو أنه إذا وجه لك أحد نصيحة لا تحتمل، ترفض هذه النصيحة.

أيها الإخوة، إن أردت أن تضغط الدين كله بكلمات، بل إن أردت أن تضغط رسالات الأنبياء جميعاً بكلمات فاسمع قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾

هذا التوحيد،

﴿ فَاعْبُدُونِ ﴾

الطاعة، لذلك قالوا: نهاية العلم التوحيد، ونهاية العلم التقوى.

ومضات من قصص في التوحيد.

- سيدنا كعب حينما تخلف عن رسول الله في تبوك لم يكن له عذر ...

وقد قال: << أوتيت جدلاً >>، يعني أوتيت قوة إقناع، فلما عاد النبي عليه الصلاة والسلام، وعكف راجعاً إلى المدينة قال: حضرني حزني، ماذا أقول له؟ فلما وصل إلى المدينة استقبل المنافقين، واستمع إلى أعذارهم، وقبِلها، منهم ثمانون منافقا، فلما جاء دور سيدنا كعب قال في نفسه: << والله لقد أوتيت جدلاً، وإنني بجدلي أخرج من سخطه . أقدم له عذرا محبوكا . ولكنني خشيت أنني إذا خرجت من سخطه بجدلي ليوشكن الله أن يسخطه علي >>، **علاقته مع من؟ مع الله، بإمكانه أن يقنع رسول الله، ولكن رأى أن الأمر بيد الله،** فلو أقنع النبي عليه الصلاة والسلام، ولم يكن الله راضيًا عنه ليوشكن الله أن يسخطه علي، قال: << فأجمعت أن أصدقه، فلما وصلت إليه قلت: والله يا رسول الله ما كنت في يوم أقوى ولا أنشط من يوم تخلفت عنك، لا عذر لي، فقال

عليه الصلاة والسلام كلمة رائعة: ((أمّا هذا فقدْ صَدَقَ)) استمع إلى ثمانين منافقاً، وكلهم قدموا أعذارا مقبولة، ووكَّلهم إلى إيمانهم، فلما تكلم هذا الصحابي الجليل الحقيقة بلا مواربة، وبلا كذب، قال عليه الصلاة والسلام:((أمّا هذا فقدْ صَدَقَ))

أرأيت إلى هذه اللقطة، أوتي قوة إقناع بإمكانه أن يخرج من سخطه، **لكنه أدرك أن الأمر بيد الله،** فهو إن خرج من سخطه ليوشكن الله أن يسخطه عليه، قال: فأجمعت صدقه.

- اللقطة الثانية أن النبي عليه الصلاة والسلام خطب امرأة فاعتذرت أن تكون زوجة له،

فكأن الكلام لا يصدق، امرأة أتيح لها أن تكون السيدة الأولى في مجتمع المسلمين، زوجة خير الأنبياء والمرسلين، وتعتذر!!! طبعاً موقف غريب وعجيب، فسألها، قالت: يا رسول الله، لي خمسة أولاد، أخاف إن قمت بحقهم أن أقصر في حقك، فالله لا يعذرني، وأخاف إن قمت بحقك أن أقصر بحقهن، هذا هو التوحيد.

- حينما نزلت براءة السيدة عائشة من حديث الإفك... طبعاً تأخر الوحي أربعين يوماً، ولو كان الوحي شيئاً بملك النبي كما يتوهم أعداء الإسلام لقال آية بعد ساعة وبرّأها، الوحي كيان مستقل عن النبي عليه الصلاة والسلام، لا يملك جلبه ولا دفعه، فلما نزل في الوحي ببراءة هذه السيدة المصون رضي الله عنها قال أبوها الصديق: قومي إلى رسول الله فاشكريه، قالت: لا والله، لا أقوم إلا لله، على مسمع النبي عليه الصلاة والسلام، فتبسم عليه الصلاة والسلام **وقال: عرفت الحق لأهله،** هذا هو الصحيح، أرأيت إلى التوحيد؟

- هل تصدق أن في حياة المسلمين الأولى إنسانين أحبا بعضيهما حباً يفوق حد الخيال كحب الصديق لرسول الله، ولما توفي النبي عليه الصلاة والسلام ماذا قال الصديق؟ دقق: ((أَمَّا بَعْدُ ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . بلا ألقاب، وهو قد ذاب قلبه ألماً . فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ)) أرأيت إلى التوحيد؟

- سيدنا خالد وهو في أوج انتصاراته عزله عمر، وأرجعه جندياً.تصور إنسانًا لواء تسحب منه القيادة، ويبقى جندياً في الفرقة، ماذا يفعل؟ يحدِث انقلابا، جاء إلى سيدنا عمر فقال له: << يا أمير المؤمنين، لمَ عزلتني؟ قال: والله إني لأحبك، قال: لمَ عزلتني؟ قال: والله إني لأحبك، قال: لمَ عزلتني؟ قال: والله إني لأحبك، يريد جوابًا، فقال له سيدنا عمر: والله يا ابن الوليد **ما عزلتك إلا مخافة أن يفتتن الناس بك لكثرة ما أبليت في سبيل الله** >>، خاف هذا الخليفة العملاق أن يتوهم الناس أن الذي ينتصر هو خالد، لكن الذي ينصر هو رب خالد، فعزل خالدا، وبقي النصر مستمراً من أجل التوحيد، **وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.**

- سيدنا عمر وهو يخطب قطع الخطبة، وقال: << يا ابن الخطاب، كنتَ راعياً ترعى الإبل على قراريط لأهل مكة >>، وتابع الخطبة، ليس هناك علاقة أبداً... أحيانا بعض المحطات الإذاعية تقطع البث، ويستبدلونها بدعاية ليس لها علاقة بالمضمون إطلاقاً، ثم يعود المضمون، ما فهم

الصحابة ذلك، فلما انتهت خطبته سألوه، فقال: << جاءتني نفسي فحدثتني أنه ليس بينك وبين الله أحد، فأردت أن أعرّفها قدرها، >>، كنت راعياً أرعى الإبل على قراريط لأهل مكة.

لذلك أيها الإخوة، **الدين الحقيقي توحيد، الدين الحقيقي ألا ترى مع الله أحداً**، وألا ترى نفسك أيضاً، وألا ترى عملك، **إذا أراد ربك إظهار فضله عليك خلق الفضل ونسبه إليك**، لذلك في أي عمل تقدم عليه ينبغي أن تقول: اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي، والتجأت إلى حولك وقوتك، يا ذا القوة المتين، تبرأت من حولي وقوتي وعلمي، والتجأت إلى حولك وقوتك وعلمك، يا ذا القوة المتين، هذا هو التوحيد، **ألاّ ترى مع الله أحدا، ألا تحابي أحدا**، لذلك قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ﴾

هؤلاء الذين يبلغون رسالات الله أليسوا أُمَناء؟ نعم، أليسوا صادقين؟ أليسوا ورعين؟ أليسوا مصلين؟ أليسوا صائمين؟ لماذا أغفل الله كل صفاتهم، واكتفى بصفة واحدة؟ قال علماء البلاغة: لأن هذه الصفة مترابطة مع الموصوف ترابطا وجوديًا، فإذا ألغيت الصفة ألغي الموصوف، كيف؟ تقول: طائرة كبيرة، والباخرة كبيرة، طائرة غالية الثمن، واليخت غالي الثمن، طائرة جميلة، واليخت جميل، أما الطائرة فتطير، هذه صفة خاصة بالطائرة، فلو ألغي طيران الطائرة ألغيت الطائرة، لذلك هؤلاء الدعاة إذا وحّدوا، ولم يروا مع الله أحدا، ولم ينافقوا، ولم ينطقوا بكلام ليسوا قانعين به، ولم يسكتوا عن حق خوفاً من قوي، ولم ينطقوا بباطل إرضاء لقوي، هؤلاء هم الدعاة، فإن لم يكونوا كذلك سقطت دعوتهم، وانتهوا .بعد هذه الصفة لا داعي للحديث عن صدقهم وأمانتهم، وصلاتهم وصيامهم، القرآن جامع مانع، فيه إيجاز، لذلك أيها الإخوة صدقوني، ولا أبالغ: **إن لم تكن موحداً فلا جدوى من إيمانك إطلاقاً**، إن لم تر أن يد الله تعمل وحدها، وأن الله بيده كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه فلستَ موحّدا.

●جاء خطيب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له:((ما شاء الله وشئت، قال: بئس الخطيب جعلتني لله نداً، **ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن))** هذا هو التوحيد.

●أيها الإخوة، جاء رسول والي عمر بن الخطاب على أذربيجان، وصل المدينة في ساعة متأخرة من الليل، كره أن يطرق باب أمير المؤمنين، فتوجه إلى المسجد، سمع رجلاً يبكي، ويقول: يا رب، هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي، أم رددتها فأعزيها؟ استغرب، طبعاً هذا الكلام له قصة، سيدنا عمر كان يسير في أزقة المدينة، ومعه عبد الرحمن بن عوف، رأى قافلة في ظاهر المدينة، فقال لعبد الرحمن بن عوف: تعالَ نحرس هذه القافلة، سيدنا عمر سمع طفلاً يبكي، توجه إلى أمه، وقال: أرضعيه، فأرضعته، وتابع البكاء، فقال: أرضعيه، فأرضعته، فتابع البكاء، فغضب، وقال: أرضعيه، قالت له: وما شأنك بنا؟ طبعاً لا تعرفه، إنني أفطمه، قال: ولمَ؟ قال: لأن عمر لا يعطي العطاء، التعويض العائلي، إلا بعد الفطام، تروي الرواية أن عمر ضرب جبهته، وقال: ويحك يا ابن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين؟ لأنه أخّر العطاء إلى الفطام، ويحك يا ابن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين؟ فذهب إلى المسجد، وبكى بكاءً شديداً، وقال: يا رب، هل قبلت توبتي فأهنئها، أم

ردتها فأعزيها؟ هذا السفير الرسول من أذربيجان ما عرف هذا الإنسان، قال له: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا عمر، هو خجل أن يطرق باب أمير المؤمنين ليلاً، فذهب إلى المسجد فرآه يبكي في المسجد، قال: يا أمير المؤمنين، ألا تنام الليل؟ النتيجة قال له: << أتحب أن تأكل معنا، أم أن تأكل مع فقراء المسلمين، يعيش عند كسرى، طعام الملك شيء نفيس جداً، قال: بل عندك، فلما دخل إلى بيته، قال: يا أم المؤمنين ما عندك من طعام؟ قالت: والله ما عندنا إلا ملح وخبز، بينما فقراء المسلمين يأكلون اللحم، قال: هاته لنا، فجاءته بالملح والخبز، أكل فشبع، وشرب فارتوى، فقال: الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا، وسقانا فأروانا >>، خليفة المسلمين.

فالنتيجة سيدنا عمر لما ضرب جبهته، وقال: ويحك يا ابن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين؟! ذهب إلى المسجد، وأعطى أمراً أن يكون العطاء بعد الولادة لا بعد الفطام. والله، الذي لا أصدقه كيف تأمر هذه الدول الكبيرة بقتل الشعوب، لأنه أخّر العطاء من الولادة إلى الفطام، قال: ويحك يا ابن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين؟!

●هذا هو التوحيد، لذلك سيدنا الصديق أوصى أن يكون الخليفة بعده عمر، فجاء وفد إليه، وخوّفه من الله، كيف تولّي علينا عمر، وشديد مخيف؟ فغضب، وقال: أتخوفونني بالله، لو أن الله سألني لمَ وليت عليهم عمر؟ أقول: يا رب، ولّيت عليهم أرحمهم، هذا علمي به، فإذا بدل وغير فلا علم لي بالغيب، فلما خطب سيدنا عمر قال: << كنت خادم رسول الله وسيفه المسلول وجلواذه، وتوفي عنه وهو عني راض، وأنا بهذا أسعد، والحمد لله رب العالمين، ثم جاء أبو بكر، فكنت خادمه وسيفه المسلول وجلواذه، فكان يغمدني إذا شاء، وتوفي عني، وهو عني راض، الحمد لله على هذا كثيراً، وأنا به أسعد، قال: ثم آلت الأمور إلي، اعلموا أيها الناس، أن تلك الشدة قد أضعفت، وإنما تكون على أهل البغي والكفر، أما أهل التقوى والصلاح فأنا ألين لهم من أنفسهم، وسأضع رأسي على الأرض ليطئوه بأقدامهم، أيها الناس، خصال خمس خذوني بها، أي حاسبوني عليها، لكم علي لا آخذ من أموالكم شيئاً إلا بحقه، وألا أنفقه إلا بحقه، ولكم علي ألا أجمركم بالبعوث، يعني أرسلك إلى الجهاد فوق أربعة أشهر، لك أولاد، ولك زوجة، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا، ولكم علي أن أزيد عطاياكم إن شاء الله تعالى >>. هذا التوحيد، يرى الله عز وجل سيحاسبه،

●لذلك جاءته رسالة من والٍ يقول: << يا أمير المؤمنين، إن أناساً قد اغتصبوا مالاً ليس لهم، ولست أقدر على استخراجه منهم، إلا أن أمسهم بالعذاب، فإن أذنت لي فعلت، اسمع جواب عمر، قال: ويحك، أتستأذنني في تعذيب بشر، وهل أنا حصن لك من عذاب الله؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله؟ أقم عليهم البينة، معك مستمسكات، معك أدلة، معك وثائق، فإن قامت فخذهم بالبينة، فإن لم تقم فادعوهم إلى الإقرار، فإن أقروا كان بها، وإن لم يقروا فادعهم إلى حلف اليمين، فإن حلفوا فأطلق سراحهم، وايمُ الله، لأن يلقوا الله بخيانتهم أهون من أن ألقى الله بدمائهم >>، هذا هو التوحيد.

●رأى والياً فقال له: << ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟ قال له: أقطع يده، قال للوالي: إذاً، إن جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عنهم خلقه لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر له حرفتهم، فإن وفرنا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإن لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية >>. هذا التوحيد.

●سيدنا الحسن البصري من كبار التابعين، وهو عالم جليل، والعلم أمانة، ومن أمانة العلم التبيين، وكان في عهد الحجاج، والحجاج مخيف، أدى أمانة العلم، وبلغ الحجاج ما قاله الحسن البصري فيه، فغضب وزمجر، وهدد وتوعد، وقال لجلسائه: يا جبناء، والله لأورينّكم من دمه، بكل بساطة أمر بقتله، وجاء بالسياف، ومد النطع، –وهو قماش يمنع تلوث الأثاث بدم المقتول– فهِم كل شيء، جيء به ليقتل، فحرك شفتيه، وتمتم بكلمات، فإذا بالحجاج يقف له، ويقول: أهلاً بأبي سعيد، أنت سيد العلماء، وما زال يقربه، ويقربه حتى أجلسه على سريره، وسأله، واستفتاه، وضيفه، وعطّره، وودّعه، صُعق السياف والحاجب الذي جاء به، فلما خرج الحسن البصري تبعه الحاجب، قال له: يا أبا سعيد، لقد جيء بك لغير ما فعل بك، فماذا قلت لربك؟ قال: قلت له: " يا ملاذي عند كربتي، يا مؤنسي في وحشتي، اجعل نقمته علي برداً وسلاماً كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم ".

●هناك قصة قصيرة جداً لو أرويها مليون مرة لا أشبع، أن والي البصرة كان عنده الإمام الجليل الحسن البصري، وقد جاءه لتوه توجيه، وأمرٌ من يزيد الخليفة، وفيه ظلم شديد، هذا التوجيه لو نفذه لأغضب الله عز وجل، ولو لم ينفذه لأغضب الخليفة، وربما عزله، فوقع في حيرة من أمره، وعنده الإمام الجليل الحسن البصري، قال له: " ماذا أفعل يا إمام "؟ قال له: " إن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله ". **هذا توحيد، لا يوجد إلا الله فقط، لا تخش أحداً، الله يحميك من كل البشر، لكن أقوى البشر لا يحميك من الله، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.**

●سعيد بن جبير أراد الحجاج أن يقتله، قال: سأقتلك، قال: والله لو علمت أن أمري بيدك ما عبدت غيرك، لكنني اعبد الله. **ما مِن إنسان أقوى من الموحد، ومِن في إنسان أعزّ من الموحد، ولا إنسان أجرأ من الموحد، لا يرى مع الله أحداً، يرى الله ولا يرى معه أحداً.**

●كان في بمصر ملِكٌ اسمه أيوب، كان إذا مشى موكبه قبل الأمراء والكبراء الأرض أمامه خضوعاً له، وهناك حديث عنه طويل، عن جبروته، وقوته، كان إذا تكلم أحد في مجلسه قتله، يجب أن تسكت، تجيب إذا سألتك، كان إذا أدخل أحداً السجن، وسأل عنه أحد قتله، هناك قصص عن جبروته وقهره، وظلمه بشكل لا يصدق، وكان في عهده عالم جليل اسمه العز بن عبد السلام، في يوم عيد الأضحى، وهو في موكبه الكبير على فرسه المطهَّم، وحوله الكبراء والأمراء، والأمراء يقبّلون الأرض أمامه، صاح به بأعلى صوته، يا أيوب، هكذا، ماذا تقول لربك يوم القيامة، وقد ملّكك مصر، لمَ لمْ تُزِل المنكرات؟ صعق الملك، قال له: أيّ منكر؟ قال: هناك حانة تبيع الخمر، قال: لا أعلم، قال: أنا قد أعلمتك، قال: لعلها مِن عهد والدي، قال: إذاً ينطبق عليك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا

عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ قال: سأزيلها فوراً، يقول الظاهر بيبرس: والله ما استقر مُلكي حتى مات العز بن عبد السلام. الإنسان الصادق أمة.

●يروى أن الشيخ بدر الدين الحسني من كبار علماء الشام، أرسل له السلطان العثماني الصدرَ الأعظم أكبر شخصية، رئيس وزارة، والعثمانيون يحكمون ثلث العالم، شمال إفريقيا بكامله، الشام، العراق، فلسطين، الحجاز، فدخل عليه في الشام، فقال له: السلطان يدعوك لزيارة استنبول، فكان يقول كلمة . رحمه الله . لا أرغب، من شدة هيبته إذا قال: لا أرغب، انتهى الأمر، لا يجرؤ أحد أن يعيد عليه الخبر، فودعه، وعاد إلى استنبول، في الطريق إلى بيروت بارجة، من بيروت إلى اسطنبول، وطبعاً وقت طويل ليس مثل الآن في ساعتين، وصل بالبارجة إلى إنطاكية، تألم ألما شديدا، أنه أنا صدر أعظم، رئيس وزارة، آتي أتجشم الصعاب، أركب باخرة من استنبول على بيروت إلى الشام، وأطلب من العالم أن يأتي معي فيرفض، والله لآخذنه بالقوة، ورجع من إنطاكية لبيروت، يحتاج ثلاثة أيام، وسائل قديمة بطيئة جداً، ومن بيروت إلى الشام، ودخل على الشيخ، وكان يصلي، فلما سلم من صلاته نظر إليه، قال: رجعت، اضطرب، قال: سيدي نسيت أن أقبّل يدك.

●أحيانا يكون الإنسان في مقتبل حياته، ومعه ورم خبيث، كنت مرة عند طبيب قلب، جاءه هاتف، قال: والله لا أمل، قال له: أي مكان في العالم، وأي مبلغ، قال: والله لا أمل، **فإذا انتقم الله عز وجل من إنسان بمرض عضال فقد انتهت حياته، وانتهى ماله، وانتهت قوته.**أعرف إنسانا صديق صديقي، وصل إلى منصب عالٍ جداً في الصناعة، يحمل دكتوراه من فرنسا، وزوجته فرنسية، وهو في الأساس غني، وساكن في أرقى أحياء دمشق، وسيارات، وبيت في المصيف، فَقَد بصره، جاملوه شهرا، بعثوا البريد مع موظف، هذه المعاملة هكذا، بعد شهر أقالوه، فزاره صديقي، قال: والله يا فلان، أتمنى أن أجلس على الرصيف أتكفف الناس، وليس عليّ إلا هذا المعطف، وأن يرد اللهُ لي بصري.

●هل من المعقول أن يأتي ملك الغساسنة يعلن إسلامه، ويرحب به عمر، ويطوف حول الكعبة، فيأتي بدوي يدوس طرف ردائه، فينخلع رداؤه من كتفه، يلتفت نحو البدوي فيضربه ضربة تهشم أنفه، شكاه لعمر، استدعاه، ملك وشخص بالتعبير المعاصر من دهماء الناس، من سوقتهم، من الطبقة الدنيا، من الطبقة المسحوقة، شاعر معاصر صاغ الحوار شعراً.

قال له سيدنا عمر: أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح؟

قال له جبلة: لست ممن ينكر شيًّا أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيدي

قال له عمر: أرضِ الفتى لابد من إرضائه ما زال ظفرك عالقاً بدمائه

أو يهشمن الآن أنفك وتنال ما فعلته كفك. هو يخاطب ملكا: أو يهشمن الآن أنفك.

قال: كيف ذاك يا أمير المؤمنين هو سوقة وأنا عرش وتاج كيف ترضى أن يخرَّ النجم أرضاً؟

قال له: نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها أقمنا فوقها صرحاً جديداً

وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيدا

قال: كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعزّ أنا مرتدٌ إذا أكرهتني

قال: عالَم نبنيه كل صدع فيه يداوى وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى

وهرب بالليل، وشرب الخمر، وله قصيدة قبل أن تأتيه المنية يعلن عن ندمه الشديد، لأنه لم ينصع لكلام عمر.

لا إله إلا الله، هذا هو الإيمان، هو الرافع، هو الخافض، هو المعطي، هو المانع، هو المعز، هو المذل، هو الميسر، هو المعسر، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً.

أيها الإخوة: كلام كثير متعلق بالتوحيد، كلام نظري، ومواقف عملية، **ففي اللحظة التي لا ترى مع الله أحداً يذهب عنك اليأس، يذهب عنك الإحباط، يذهب عند الخنوع، تذهب عنك السوداوية، يذهب عنك كل ألم نفسي،** الله موجود، وكل شيء بيده.

●لذلك الصحابة الكرام، وهم نخبة الخلق، ومعهم سيد الخلق في حنين قالوا: لن نغلب من قلة، فلم ينتصروا، قال الله عز وجل:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ﴾

في بدر وحدوا فانتصروا، في حنين أشركوا فلم ينتصروا، هذا درس نحتاجه كل يوم.

تقول: الله، يتولاك الله، تقول: أنا، يتخلى عنك، بدراستك، بتجارتك، بزواجك.

●أبو جعفر المنصور من كبار الحكام العباسيين، اسمه السفاح التقى بأبي حنيفة قال: " يا أبا حنيفة، لو تغشَّيتَنا، قال: ولمَ أتغشّاكم، وليس لي عندكم شيء أخافكم عليه، وهل يتغشَّاكم إلا مَن خافكم على شيء؟ قال له: إنك إن أكرمتني فتنتني، وإن أزريت بي فتنتني أيضاً ".

●حدثنا أحد علماء دمشق له شيخ وقور، ألقى خطبة كبيرة جداً مؤثّرة جداً، هو نازل شعر أن هذه هي الخطبة، قرأ الفاتحة فأخطأ فيها، إياك، قال:

رقصت الفضيلة تيهاً بفضلها فانكشفت عورتها

أنا أعتقد أنه لا يوجد شخص إلا وعنده قصتان ثلاثا حدثت له، عندما وحد الله أكرمه، ولما علّق آماله بإنسان الله خذله، أنا أسميها أيّام الله، وضع ثقته بإنسان فتخلى عنه، وضع ثقته بالله فتولاه، **أنت بين التولي والتخلي،** بين أن يتولاك الله، وأن يتخلى عنك.

أيها الإخوة، ذكر نفسك بأيام الله، يوم أكرمك الله لأنك وحدته، ويوم وضعت أملك بإنسان فخذلك هذا الإنسان، لأنك وقعت في شرك خفي.

بالمناسبة، إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك.

كنت أضرب مثلا برجل له مال يقبضه في مدينة في الشمال، مليون ليرة، وأحب أن يصعد القطار، قطع بطاقة درجة أولى، جلس بعربة من الدرجة الثالثة، هذا خطأ كبير، لكن القطار ينطلق إلى الشمال وسيصل، هناك خطأ ثان، جلس بمقعد بعكس اتجاه القطار، فأصيب بالدوار، هذا خطأ ثالث، لكن القطار في طريقه إلى الشمال، ما مِن مشكلة، جلس بعربة فيها شبان سيئو الخلق، أزعجوه في الطريق، لكن القطار ينطلق إلى الشمال، وسيأخذ المبلغ، هناك خطأ رابع، كان يتلوى من

الجوع، ولا يعرف أن في القطار عربة فيها مطعم، هذا خطأ آخر، ولكن القطار سيصل إلى الشمال هذا الموحد، المشرك ركب قطار مدينة جنوبا، ما ارتكب ولا خطأ، ولكن لا شيء أمامه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾

مع التوحيد كل الذنوب تغفر، لكن مع الشرك لا شيء يغفر، لأنك اتجهت إلى لا شيء، اتجهت إلى مخلوق، والمخلوق أضعف منك.

- سيدنا يونس، وهو في بطن الحوت فقال تعالى عنه:

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ *﴾

الأملُ بالمئة صفر، هو في بطن الحوت، في ظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، فنادى في الظلمات.

هذا التوحيد، ألاّ ترى مع الله أحدا، هو الرافع، هو الخافض، هو المعز، هو المذل، هو المعطي، هو المانع، هو الذي يكرم، ومن يهن الله فلا مكرم له، **إن وحدت يخدمك عدوك، وإن أشركت يتطاول عليك ابنك**، لا إله إلا الله، **التوحيد يحملك على الاستقامة**، وعدم التوحيد يدفعك إلى المعصية إرضاءً للقوي، **التوحيد محصلة الإيمان**، إيمانك، وتفكرك، واتصالك، واستقامتك، وتضحيتك، وبذلك تنتهي بك إلى التوحيد، **والتوحيد سعادة، مع التوحيد لا مرض نفسي**، علاقتك مع الله.

أي عمل صالح من دون استثناء هو قرض حسن لله، قال تعالى:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

الله عز وجل يقول: أقرضني يا عبدي، والله لو أطعمت هرة، والله لو أنقذت نملة في أثناء الوضوء بالمغسلة، أوقفت الماء حتى خرجت، بإمكانك أن تغرقها، والله لو أنقذتها كان هذا عملا صالحا.

- مرة أخ من لبنان صديق توفي . رحمه الله . رجع بسيارته القهقرى، فضرب سيارة عمومية فكسر الضوء الأحمر، والصاج تخرب، وأنا توقعت أن هذا السائق ينزل ويوبخ، نزل السائق، ونظر إليه، وهو رجل منعم، قال له: مسامح، فهذا الصديق نزلت دمعة على خده، أنا ما فهمتها، لو أنه فقير وقّر خمسة آلاف فقير لكن ليس فقيرا، هناك موضوع ثانٍ، لما هطلت هذه الدمعة على خدك قال: أنا قبل سنتين كانت أسرة سورية راكبة سيارة، كل النساء محجبات في بيروت، فضربوا سيارتي، فما أحببت أن أنزع لهم النزهة، فقال لهم: أنا مسامح، ما ضاعت، بكى، قال: أنا ما أحببت وهم جاءوا من الشام محجبات، وفي بيروت وسياقته ضعيفة، فضرب له سيارته، فبعد سنتين رد الله له الجميل، **فعامِلوا الله، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، التوحيد هو الدين**، التوحيد هو الذي يرفع رأسك هو الذي يرفع معنوياتك، هو الذي يدفعك إلى أن تكون جريئاً، التوحيد هو الذي يبعد عنك كل مرض نفسي، علاقتك مع الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ))

لذلك قال الله تعالى:

﴿ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

يا أيها الإخوة الكرام، الناس في حالة إحباط شديد، في حالة يأس، لأنهم رأوا أن أمرهم بأيدي أعدائهم، وأعداؤهم يكيلون لهم، والله هذه المعلومات تصيبك بجلطة، أن الأمر بيد أعدائنا، فهم يخططون مرة بحصار، مرة بقصف، مرة باحتلال، أسعار العملة بيدهم، والبترول بيدهم، والحصار الاقتصادي بيدهم، الناس يعيشون حالة يأس وإحباط وقلق، **لكن كن مع الله ولا تبال.**

كن مع الله تر الله معك واترك الكل و حاذر طمعك

وإذا أعطاك من يمنعه ثم من يعطي إذا ما منعك

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإنا منحنا بالرضا من أحبنا